لم يكن أبي آخر " الحروب" التي نحتت جسدي بأزميل الفقر والصفعات والشتائم، متى رأيته أول مرة؟ فقد كان بيني وبين ذاك اليوم الموغل في البعد مديات غامضة من ضباب كثيف! ولكني كنت أتذكر، الأماسي كلها التي اعقبت ذلك النهار الموحش. فكان يجب عليَّ أن أمد يدي جسراً، لعبور أبي! أبي الذي ادركته الشيخوخة في وقت مبكر، رغم الخسائر التي تكبدتها طفولتي خلال حربه المديدة التي سوَّدت أيامي، غير أني لما رأيته يتوكأ في خريفه الأخير على ظهره أو قوسه المصنوع من رماد السنين، وجداراً يتكئ اليه وجمالاً يسند اليه ذكرياته الأخيرة، وخطى يمشي بها. كانت دمعة واحدة فقط تنفسح من عينيه كفيلة بإمحاء قارة من السوء!! السوء الذي أفعم ايامي برائحة من الأسى القوي. فجعل نهارتي قاتمة تعرش في مفاصلها الفضائح التي نمت في أول الخراب، اللواتي كن بلا حقنني بهمسهن المتشفي الفاتر الهاب مع الريح، وبعيونهن اللاذعة المشعة بالكراهية، فتأخذني سنة من العذاب تزيدني تماسكاً وأنا عند اعتاب "9" سنوات العمر الذي " طلق" فيه أبي امي المصنوعة من أجود عطور الامهات، كان الحنان يسيل غزيراً من ملمس يدها ويفيض قوياً من لمسة ثغرها، ينهمر كالشلال شديد الروعة، الملمومتين على آلاف القبلات التي طبعتها بتعاقب الايام على خديَ. ورث عن أبيه ثروة طائلة، بددها على موائد النساء اللاتي لحسن عقله بالسنتهن المعسولة، ظل متبرماً على الدوام، رغم الثراء الذي كان ينعم به. فقد كان شحيحاً معي! حتى في الكلام، كأنه لايرغب ان يراني وارثا او كانه يراني ميتاً! او غير مرغوب فيه، او غير مرغوب فيه انا من جانبي لم اكترث لما يبديه من جفاء وصدود وقسوة، ولكن ما كان يدهشني أن " الويل" لا لشيء. سوى اني ابن ضرتها التي تزوجت في ظروف غامضة. كأن هذا الأمر كان سبباً كافياً لأن تسود ايامي وتصطاد هفواتي البريئة في شبكة من المكر. فلا أعرف ماذا أفعل ازاء هرها لي باستمرار، فأبي لايرغب أن يراني نداً او خصماً مشاكساً وهي لا تمسك عن التدفق بالكلام البذيء ولاتكف عن التهكم الموجع الذي الحق بي الضرر، وبت لا أملك سوى ان أبقى خائفاً وأزداد رعباً كلما اراها ترفل بثوبها الأحمر الطويل في الممشى المفضي الى صديقة المنزل، مشغولاً بما يحدث لي على يدها المكبلة بالاعر. وافكر بأمي التي باتت جدا بعيدة وأبي الذي لم أعد اراه الا لماما، سوى ان التف بحبال طويلة من العزلة، الوحيد الذي بقي يصلني بطيف امي، أو المنفذ الاثير الذي اطل عبره على مرافئ من الحنان الغارب، كنت أقضي اوقات مريرة في التقاط صور الماضي عبر ذاكرتي النابضة بطيف امي والتي لم يشغل حيزها سوى حنانها المدهش، المليء كل ماهو جميل بكل ما لن انساه، كانت خليطاً مذهلاً من اِواق ودموع وندم وخوف ومسرات شحيحة وأهواء ومشهقات وأنين، بكلام المساءات المتكئ على بياض قلبها، ما زال صوتها ينمو في شهقة الليل الحزين وفي العشب المفروش تحت اغفاءاتي المضطربة، وفي الخراب الذي شاع عقب احتفائها، فأربك " حياتي " الحافلة بصور الماضي المتعاقبة. الشقراء كالقمح تخفق في الريح والتموجات التي تتدفق من صوتي المفعم برائحة الألم والغصات التي تؤول غالباً الى نحيب، يظل يسيل على شفتي نهاراً كاملاً، فاخالني كما لو أني خرجت الى الدنيا باكياً بقوة، فأمضي بشهيقتي وجهشاتي. وأنا أرى الى يد أبي المتيبسة التي جفت رطوبتها من شدة القسوة تهوي ثقيلة على وجه امي الممصوص، الذي نشفت رياح الأسى نضارته، كنت أبحلق مندهشاً لليد المدربة التي بددت اجمل السنين وأثراها واينعها من عمر امي الذي نما في المكان الخطأ، فتراكم " الشيب" والقهر وراح يشاعل بضراوة في القلب الغض، كأنه كان ينمو في سائر الجهات القاتمة التي تلتفت على اعاقها، فلم يعد هناك أيما منفذ للانعتاق من عبودية دامت أحزان تترى! سوى نافذة " الانفصال" فأطلت عبرها بكامل انكساراتها ونهاؤاتها المعفرة باوحال الشتائم والصفعات، تقودها قدماها الى قيامتها الجديدة ّ اذكر أني لبثت يوماً او بعض يوم، عن ملامح قيامتي او عن امرأة كانت أمي ذات سنين "9" وسنين اخرى عجاف قادمات في الطريق، يلوحن بأيام اشد سواداً او قحطاً. ولا أدري متى افقت من موتي!! على بوق تنفخ فيه أمرأة ولا أدري متى افقت من موتي؟ على بوق تنفخ فيه امرأة فتخرج ريح مهولة. فأصحو مذعوراً وأنا أجري في الحوش الذي خلته القيامة التي ضاقت بي! فوجدتني اقف مسمراً مرعوباً قبالة امرأة أبي التي خلتها في بادئ الامر او في اول موتي " ملك الموت" فسألتني عن سنواتي الـ "9" اين امضيتها؟ وعن عدد النساء اللواتي عاشرتهن، فأنا ما زلت طفلاً فشعرت لأول مرة بعمق المسافة المريعة التي تفصلني عنها فأيقنت بأنها سوف تؤثث " عمري " بالخيبات" وتتوجه بأحزان اكثر هولا. تلتمع على طبق من الأخطاء المشعة بالوضوح! لم يمر وقت طويل على عذاباتي معها، حتى وجدتني التحف شتائي في غرفة رطبة، أغفو على وسادة من البرد وانتظر حالما، وأشكو اليها وأنا انعم بالدفء المشع من عينيها، كنت امضي ساعات طويلة لاذعة، أذكر مرة لما بلغ البرد أشده وجعلت الريح تعصف بالنافذة، ورحت انسل خلسة خارج الحجرة، ابحث عن اي دثار يقيني من البرد، قبل ان ادلف احدى الغرف، وانا انصت لمجرى من فحيح قوي يخف في الريح الباردة فتملكني الاضطراب كان الهواء ما زال يهب من منافذ غامضة لما الصقت وجهي بحافة النافذة وجعلت اتطلع.فاراعني ما رأيت كانت امرأة ابي كتلة لحمية نابضة بارتجاجات فاترة تتلوى وهي مفروشة تحت بدن ابي النحاسي، بكامل

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

صهلية وذراعيه الملتفتين حول رقبتها التي بدت عبر ال؟؟ التي اتاحها انزياح ذراع ابي شديدة اللمعان للغاية في الضوء المندلق من المصباح فأشتد خفقان قلبي، وأنا المح ذراعها الممتلئة تمتد عبر النور المنهمر بقوة وكثافة وعبر العري الملتحم، لتطوق رأس أبي المغمور بحزم مضيئة من شعرها الاثيث المنفسخ على الوسادة. فأصابتني الدهشة وانكفئت مذعوراً للوراء.ووجدتني اجري خائفاً في الريح الباردة، ابحث في الظلام المطبق على فضاء حجرتي عن معطفي الرث.رغم مرور سنوات قوية حافلة بالمكابدات والنسيان والندم ما زلت أذكر تلك المرأة. كما ما زلت أتذكر كيف أزاحت نفسها عن طريقة الوعر، ولم يجدها مفروشة فوق السرير، لأني كنت في ذلك الحين الموغل في الشحوب والنسيان، اغط في عزلة مديدة ما زالت ملامحها مطبوعة في ذاكرتي، رغم مرور كل تلك السنوات الثرية بالألم، ولما رأيته يحشد كامل قواه ليصفعني، جريت في الحوش وانا اطلق صراخاً متصلاً متخماً بالفزع وكم كانت دهشتي لاتوصف، عندما فوجئت به يطلق " ضحكات" مخيفة، متصلة تتصاعد صاخبة في فضاء الحوش ومنذ ذلك اوقت لم أعد ارى ابا كما كان متلفعاً بثياب انيقة فقد ال الى خراب مريع. وتبددت تلك القسوة المريعة وباتت محض ذكريات شاحبة تبرق في ذاكرتي في اوقات متباعدة ولكن ما كان يدهشني هو كيف فوجئت به ذات نهار، يمشي عارياً تماماً كنت في ذلك الوقت قد تسلقت جدار المراهقة عبر عزلة ضعبة اندهشت لما رأيته واقفاً عند باب الحوش الخارجي، عارياً تنضح من جسده المشع في ضو النهار رائحة رجولة ميتة تتلاشى في هواء الشارع الذي ازدحم بمئات العيون المتطلعة.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي